

حادثة فويلينغ لم تكن معاداة للسامية، بل كانت حرباً روائية صهيونية

في 23 يوليو 2025، في مطار مانيسيس في فالنسيا، إسبانيا، تم إخراج حوالي 50 طفلاً ومراهقاً يهودياً، تتراوح أعمارهم بين 10 و15 عاماً، من رحلة طيران فويلينغ المتجهة إلى باريس. وفقاً لتقارير فورية من وسائل الإعلام الإسرائيلية واليهودية، كانت المجموعة تغني أغاني عبرية قبل الإقلاع عندما تم طردهم فجأة وبشكل غير عادل. وسرعان ما وصف وزير شؤون الشتات الإسرائيلي، أميخاي شيكلي، الحادث بأنه "حادث معادٍ للسامية خطير"، مما أثار موجة من الغضب عبر المنصات المتحالفة مع الصهيونية.

لكن شركة فويلينغ الجوية والسلطات الإسبانية روت قصة مختلفة - ليست عن التمييز الديني، بل عن عدم الامتثال المتكرر والخطر لقوانين سلامة الطيران. بعيداً عن كونه مجرد سوء فهم حول التعبير الثقافي، يكشف هذا الحادث عن نمط مقلق: التسليح الاستراتيجي لادعاءات معاداة السامية لصرف الانتباه عن سوء السلوك، وقمع الانتقادات، وتعزيز رواية الضحية اليهودية حتى في مواجهة الادعاءات الموثوقة بالسلوك العنصري، وربما الإبادة الجماعية.

الحقائق المعروفة: الإخلال، التلاعب، والاستجابة القانونية

وفقاً لبيانين مفصلين أصدرتهما فويلينغ الجوية في 24 و25 يوليو، انخرطت المجموعة فيما وصف بأنه "سلوك شديد الإزعاج"، يشمل:

- مقاطعة الإيجاز الأمني الإلزامي قانونياً بشكل متكرر
- التلاعب بمعدات الطوارئ، بما في ذلك أقنعة الأكسجين وسترات النجاة
- محاولة الوصول إلى أسطوانة أكسجين عالية الضغط، كما زُعم
- إظهار "موقف تصادمي" تجاه طاقم الطائرة

قام طاقم الطائرة بتصعيد الموقف إلى قمرة القيادة، وبموجب اللائحة الأوروبية (4) CAT.GEN.MPA.105(a) - التي تمنح القائد سلطة إخراج أي راكب يعرض السلامة للخطر - تم اتخاذ قرار بإنزال المجموعة. وقامت الحرس المدني الإسباني بتطبيق القرار.

والأهم من ذلك، تم اعتقال مدير معسكر الشباب البالغ من العمر 21 عاماً المرافق للأطفال، وتم تقييده بالأصفاد وتوجيه تهمة مقاومة السلطة إليه. ومن الجدير بالذكر أن السلطات الإسبانية - التي تتغاضى عادةً عن سوء السلوك البسيط من السياح والركاب الشباب - تصرف بحزم وبدأت إجراءات رسمية.

أكدت فويلينغ أن الدين أو اللغة لم يلعبا أي دور في القرار، ولم تظهر أي دلائل منذ ذلك الحين تناقض هذا الادعاء.

ادعاءات بالهتافات العنصرية والإبادة

تزعّم منشورات على وسائل التواصل الاجتماعي وشهادات ركاب، غير مؤكدة ولكنها متداولة على نطاق واسع، أن المجموعة لم تكتفِ بغناء الأغاني العبرية - بل هتفت بشعارات عنصرية صريحة مثل “الموت للعرب” و”ليحترق قراهم”. وزعم أحد الركاب أن المجموعة بصقت على مسافر آخر أعرب عن دعمه لفلسطين.

إذا كانت هذه التصريحات صحيحة ولو جزئيًا، فإنها تشكل خطاب كراهية. وبموجب المادة الثالثة من اتفاقية الإبادة الجماعية، التي تعد إسبانيا طرفًا فيها، فإن التحريض المباشر والعني على ارتكاب الإبادة الجماعية هو جريمة يمكن مقاضاتها. كانت السلطات الإسبانية ملزمة بالتصرف.

الحقيقة المزعجة هنا هي: لا تقوم الشرطة بتقييد مدير مجموعة شباب بسبب رحلة صاخبة أو سترة نجاة منتفخة. لكنها تتصرف بسرعة عند مواجهة اتهامات موثوقة بالتحريض العنصري، خاصة على وسائل النقل العام التي تشمل ركابًا دوليين. وعلى الرغم من أن هذه الادعاءات لا تزال غير مؤكدة، فإن مصداقيتها - وتناسب الاستجابة - تشير إلى أن الشرطة الإسبانية استجابت لأكثر من مجرد سوء سلوك.

الاعتقال الذي لن تفسره وسائل الإعلام الصهيونية

منذ البداية، دفعت وسائل الإعلام والمسؤولون المتحالون مع الصهيونية قصة واحدة عاطفية ومؤثرة: عوقب الأطفال اليهود لغنائهم بالعبرية. هذه الرواية طغت بسرعة على الحقائق، بما في ذلك:

- مخاوف السلامة الموثقة للشركة الجوية
- وجود انتهاكات خطيرة محتملة
- اعتقال البالغ المسؤول عن المجموعة
- إمكانية التحريض العنصري

حتى مع إصدار فويلينغ والحرس المدني تفسيرات مفصلة ومتوازنة، أصرت شخصيات بارزة على تصوير الحدث ك جريمة كراهية دينية. لكنهم رفضوا تفسير لماذا ستعتقل الشرطة الإسبانية شخصًا لمجرد الغناء. القصة لا تصمد إلا إذا تجاهلت سياق السلوك عمدًا - وهذا التجاهل ليس عرضيًا. إنه استراتيجي.

هذا هو كتيب الصهيونية: الضحية كوسيلة للتحويل

تحويل حادثة تأديبية إلى فضيحة معاداة للسامية دولية ليس حلقة معزولة - إنه أسلوب. لطالما اعتمد الخطاب الصهيوني على التأكيد على الضحية اليهودية مع حذف السياق السياسي أو السلوكي الذي قد يكون قد أثار رد فعل. هذه التكتيكات لا تعمل من خلال إثبات التمييز، بل من خلال إثارة زعر أخلاقي: أي تحدٍ للفاعلين اليهود يجب أن يكون متجذرًا في معاداة السامية.

رأينا هذا النمط على نطاق أوسع بكثير بعد هجوم 7 أكتوبر 2023 بقيادة حماس، حيث قوبل مقتل 1200 إسرائيلي واختطاف 250 برّد فعل عالمي من الرعب - بينما تم محو العنف الهيكلي الذي سبقه. تم تجاهل الاعتقالات الجماعية للفلسطينيين، وأُنفِ عام على الإطلاق للأطفال الفلسطينيين في الضفة الغربية، والتوسع العنيف في المستوطنات غير القانونية للحفاظ على التركيز الأخلاقي على معاناة إسرائيل.

النتيجة: عدم التماثل في الرواية. يتم تصوير طرف واحد كضحايا أبديين، والطرف الآخر كمعتدين غير مفهومين - حتى عندما يستجيبون لعقود من الاحتلال والتشريد والفصل العنصري.

الأطفال يمكنهم أيضًا الهتاف بالإبادة الجماعية

من المزعج قول ذلك، لكنه ضروري: يمكن للأطفال المشاركة في خطاب عنصري وإبادي. لقد رأيناه في مدارس المستوطنين، في معسكرات القومية المتطرفة، وفي الاحتفالات العسكرية الإسرائيلية. إذا هتف ركاب فويلينغ حقًا من أجل موت العرب أو تدمير قراهم، فإن أعمارهم لا تعفيهم من الثقل الأخلاقي أو القانوني لهذا الفعل.

بدلاً من حمايتهم برواية البراءة، يجب أن تجبر مثل هذه الحوادث على التفكير: ما نوع التدريب الأيديولوجي الذي يقود الأطفال إلى الهتاف بالعنف العرقي على متن طائرة تجارية؟ ولماذا يُعتبر هذا السؤال مسيئًا، بينما لا يُعتبر الاتهام الكاذب بمعاداة السامية كذلك؟

الخلاصة: كانت هذه حربًا روائية، وليست اضطهادًا دينيًا

حادثة فويلينغ الجوية ليست لغزًا - إنها دراسة حالة في كيفية تسليح المسؤولين والإعلام الصهيوني اتهم معاداة السامية لحماية أنفسهم من المساءلة. انتهاكات السلامة الموثقة، والاستجابة المناسبة من الطاقم وقوات إنفاذ القانون، واعتقال قائد المجموعة، كلها تشير إلى أن هذه لم تكن حالة تمييز، بل حالة سوء سلوك خطير - ربما ذات طبيعة عنصرية وإجرامية.

ما تلا ذلك كان تشويهاً مألوفاً: غضب صهيوني منفصل عن الأدلة، تم نشره لإعادة تركيز الضحية اليهودية وقمع التدقيق.

إذا كانت الحقيقة مهمة، يجب أن نقاوم التوازن الكاذب. وإذا كانت العدالة مهمة، يجب أن نرفض معاملة الحقيقة والخيال على قدم المساواة. وإذا كنا نهتم بإنهاء معاداة السامية الحقيقية والعنصرية الحقيقية، يجب أن نبدأ بتسمية هذا الحادث بما كان عليه: محاولة لتحويل المساءلة إلى اضطهاد من خلال قوة التلاعب بالرواية.